يزيد بن المهلب

للاستاذ حمدي الحسيني

المهلب بن أبي صفرة أبناء نجباء كرماء شجعان عزاة فاتحون قد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم منهم.

وكان لهم في الشجاعة مواقف مشهورة مشكورة. ذكر آل المهلب في مجلس عبد الرحمن بن الأشعث بسوء. فقال حريث بن هلال القريعي: والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه عند الرخاء ولا أبذل لها في الشدة منهم

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب فرآى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال:

آنس الله الإسلام بتلاحقكم. أما والله لئن لم تكونوا أسباط بنوة فإنكم لأسباط ملحمة. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: آل المهلب جبابرة لا أحب مثلهم. ووفد مالك بن بشير على الحجاج فسأله عن ولد المهلب فقال هم رعاة الباب حتى يأمنوا، وحماة السرح حتى يردوه، قال أيهم أفضل قال ذاك إلى أبيهم. هم كالحلقة المفرغة لا يعلم طرفاها

أجل لقد أصاب مالك بن بشير في أن أبناء المهلب كالحلقة المفرغة. وفي أن أباهم هو الذي يعرف طرق الحلقـــة ويميز بين أقدارهم ويفضل بعضهم على بعض. وها نحن نراه يعلن هذه المعرفة وهذا التفضيل في وصيته لأبنائه يقول لهم والسرور يملأ نفسه: قد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم

ياعجبا! لقد انفتحت أبواب السماء لدعاء الأب المسكين فجاء الشرط الإلهي يبرئ سقم الفتاة التي ضن عليها الطبيب الأرضي بشرطه إلا أن رهن الأب بالمال الذي لا يجد إليه سبيلا. وسمت سماوية الرجل الصالح على أرضية الطبيب الشره تمحقها، فاوتدت الفتاة ـ في لمحة واحدة ـ نحس الراحة والهدوء والصحة

فيا لسماوية السماء ... يا لسماوية السماء!

كامل محمود حبيب

هم على زيد. فلا تخالفوا يزيد. فيجيبه الفضل لو لم تقدمه لقدمناه

فمن زيد بن المهلب أحدثكم هذه المرة فأجلو أمامكم شخصيته القوية جلاء يرون فيه ألواناً زاهية ساحرة من العظمة، وأشكالا جميلة فاتنة من المبقرية، وضروباً نادرة المثال في البطولة والشجاعة

ولد يزيد بن المهلب في ساحات الحروب فاكتحلت عيناه بغبار المعارك، وتضمخ جسمه بعبير الكر والإقدام، وملأت سمعه قعقعة السلاح والركاب، وصدت في نفسه أخبار الحروب والقتال، وهزت روحه نغمات النصر وأناشيد الظفر فنشأ على ظهور الخيل في ساحات الفر. وبين صفوف الأبطال في ميادين النضال.

قاتل يزيد بن المهلب الخوارج مع أبيه فكان له في قتالهم مواقف بطولة أكسبته الثقة وخلعت عليه المهابة وجلال القدر مما جعل أباه المهلب يعتمد عليه فيوليه القيادة في أدق المواقف وأخطر الساعات، ويوليه الإدارة في أوسع الأقطار وأغنى الأمصار. وما إن تولى يزيد بن المهلب على خراسان بعد أبيه حتى كتب للحجاج بتوليته عليها حسب وصية المهلب فما وسع الحجاج ولا وسع عبد الملك إلا أن يحترم وصية المهلب في استخلاف يزيد على خراسان، وإلا أن يحترما إرادة يزيد نفسه في الولاية عليها فأقرا يزيد بن المهلب على خراسان فأصبح والياً على هذا القطر الإسلامي العظيم بموقعه العسكري بالنسبة لحركة الفتح الإسلامي، وبخراجه الضخم بالنسبة لميزانية الدولة الأموية

أقام يزيد على ولاية خراسان ثلاث سنين كان خلالها السيد المطاع والحاكم الذي لا ترد له إرادة، ولكنه لم يستسلم للراحة ولم ينغمس في النعيم، بل ظل كرأس الحية النضناض لا يرى مجالا تظهر فيه البطولة إلا رمى بنفسه فيه فكان البطل الذي لا يغلب؛ ولا يحس بظرف تبرز فيه المكارم إلا برز فيه فكان الكريم الذي لا يجارى والعظيم الذي لا يشق له غبار

أراد رجال عبد الرحمن بن الأشعث الثأر على الحجاج والدولة الأموية أن يجعلوا خراسان ملجأ لهم وموضعا لحركاتهم الثورية، فقال لهم عبد الرحمن: على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس يتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتموه

ليكم سريعا. ولكنهم دخلوا خراسان فوجدوا يزيد إليهم سريعا ضربهم في وجوههم ففروا أمامه مقهورين ورجع عاصما ظافرا

وما كاد يفرغ من الضربات الباطشة التي أوقعها على رؤوس الثوار حتى انقض على قلعة عظيمة من قلاع ملوك الترك تسمى قلعة بزك ففتحها فكان في فتحها الخير للمسلمين خير كثير. ولكن هيهات أن يتسع صدر الحجاج لمثل يزيد بن المهلب في عقله وتدبيره وهمته وبطولته وعزته ومنعته وقوته وسلطانه. فقد تنكر له الحجاج فاستدعاه للعراق فأشار عليه بعض خاصته بعدم الذهاب إليه فقال له: نحن آل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف. وذهب إلى الحجاج فقبض عليه وأودعه السجن وأسرف في تعذيبه حتى هيأ الله له أن يخرج من السجن بأعجوبة فذهب إلى سليمان بن عبد الملك وهو في الرملة البيضاء وطلب منه التوسط له عند أخيه الوليد ففعل. وظل يزيد عند سليمان بن عبد الملك في الرملة حتى آلت الخلافة إليه فولاه على العراق بعد وفاة الحجاج، فكره يزيد أن يظل على هذا القطر المنهوك فنقله سليمان إلى خراسان ذلك القطر الحبيب إلى نفسه العزيز عليه وعلى آل المهلب جميعاً. فعاد يزيد إلى خراسان وقضى فيها ثلاث سنوات فتح خلالها جرجان وطبرستان. ولكن موت سليمان قطع على يزيد طريق الفتح والتقدم فقبض عليه عمر بن عبد العزيز لأنه كان يكره آل المهلب لأنهم جبابرة وأودعه السجن، فظل يزيد بن المهلب في السجن حتى توفي عمر، ففر يزيد خوفا على حياته من يزيد بن عبد الملك وتوجه إلى البصرة وهناك كشر ليزيد بن عبد الملك عن نابه وخلعه ورام الخلافة لنفسه فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله، ولكن يزيد بن عبد الملك أرسل إليه أخاه مسلمة في جيش عظيم فاستقبله يزيد بن المهلب وقاتله قتالا شديداً، فلما استمر القتل بين الفريقين تفرق أصحاب يزيد فقيل له قد انهزم الناس، فقال مم انهزموا؟ فقيل له أحرق الجسر فلم يلبث أحد، فقال قبحهم الله. بقي دخن عليه فطار. وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاء من أخبره أيضاً أن أخاه حبيباً قد قتل، فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها إلا بغضا. أمضوا قدما. قال أصحابه إن الرجل قد استقتل. مضى يزيد في قتال أعدائه وصار كلما سر تخيل كشفها جاءه أحد أصحابه وهو في تلك الساعة الرهيبة والسيف في يده يقطر دما وقال له: قد ذهب الناس فهل لك أن تنصرف. فقال له يزيد قبح الله رأيك، إلى تقول؟! إذاً الموت أيسر علي من ذلك. فقال له إني أخاف عليك. أما ترى حولك من جبال الحديد. مشيراً إلى جيش مسلمة فقال. أفأنا أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا. وأقبل يزيد على مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه عصفت عليه خيول أهل الشام فخر صريعا

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أودونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

حمل رأس البطل القتيل إلى عدوه ووضع بين يديه؛ فأراد أحدهم أن ينتقص البطل حينذاك، فقال له يزيد بن عبد الملك: مه، إن يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما

محمد الحسيني

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

لصاحب العزة الركتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة